الأحلاف القبلية وأهميتها في تاريخ الخليج العربي[160]

مثلت ظاهرة قيام التحالفات بين قبائل شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام مظهراً من مظاهر التيقظ، وإرهاصاً لقيام الدولة العربية الموحدة تحت راية الإسلام؛ فقد دفعت الصراعات الكبرى بين الحبشة وفارس والروم في القرنين الخامس والسادس الميلاديين بالقبائل العربية للتوجه نحو تشكيل مجتمع موحد، وظهرت بوادر النضج الاجتماعي والسياسي المبكر من خلال تحول أسلوب المعيشة عند العرب من صفتها الجماعية البدائية إلى التنظيم الأكثر نضجاً، والمتمثل في تشكل التحالفات بين مختلف القبائل كأساس لتكوين الوحدات الاجتماعية والكيانات السياسية، إذ أن رابطة التحالف كانت تقوم على أساس المصلحة المشتركة للقبائل العربية، وتدفعها لأن تتحد فيما بينها لمواجهة أخطار تواجهها بشكل جماعي.[161]

وانتشرت هذه الظاهرة انتشاراً واسعاً في أرجاء شبه الجزيرة العربية؛ فقامت أحلاف عديدة مثل: حلف الفضول وحلف الأحابيش، وحلف المطيبين، وحلف الرباب، وكانت هذه التحالفات تتضمن ترتيبات اقتصادية وأمنية، بالإضافة إلى معالجتها للشؤون الإدارية وتنظيم مؤسسات الحكم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك: توحد قبائل العرب لطرد الأحباش من اليمن، وانتصار تحالفهم الكبير على الفرس في يوم ذي قار سنة 609م.

وقد مثلت هذه التطورات من محاورها الاجتماعية والسياسية والثقافية إرهاصات النبوة، ومقدمات الإصلاح الشامل الذي جاء الإسلام به ليؤلف بين العرب ويضمهم في وحدة سياسية ذات طابع حضاري.[162]

ولم يكن إقليم البحرين وأرخبيل جزرها في منأى عن هذه الأحداث؛ فقد تشكل مجتمع البحرين في تلك الفترة من خلال تطورين مهمين:

أ- حدوث هجرات سكانية واسعة من وسط شبه الجزيرة العربية باتجاه السواحل.

ب- قيام تحالفات قبلية نتج عنها ظهور كيانات سياسية ونظم إدارة محلية.

فعلى إثر تفكك حلف تنوخ وهجرة أغلب أطرافه إلى العراق، خضعت البحرين لحكم إمارة كندة، وشهدت هذه الفترة قدوم هجرات أخرى من بطون ربيعة، ومن أشهرها:

---

[160] نشرت هذه الدراسة في: **صحيفة الوطن**، السنة الخامسة، العدد 1580، 8 أبريل 2010. ص 17.

[161] برهان الدين دلو (2004) **جزيرة العرب قبل الإسلام**، دار الفارابي، بيروت. ص.ص 813-815.

[162] المرجع السابق، ص 819.

بكر بن وائل، وعبد القيس، الذين ثاروا في العقد السادس من القرن الخامس الميلادي على حكم إمارة كندة، وتمكنوا من القضاء عليها في وقعة خزازى الشهيرة التي انتصرت فيها القبائل العدنانية على القبائل القحطانية، مما أدى إلى سيطرة قبائل ربيعة على نجد وإقليم البحرين. وكان من أبرز قبائل ربيعة: تغلب وبكر وعنزة وعبد القيس وضبيعة والنمر بن قاسط، وغيرها من القبائل التي شكلت حلف لهازم بزعامة كليب بن وائل الذي أصبح أميراً على البحرين.[163]

وقد ترك هذا التحالف أثره على البحرين في تاريخها القديم والوسيط، إذ يمكن إرجاع أغلب الكيانات السياسية والأصول العربية لأهل البحرين قبل الإسلام إلى حلف "لهازم" الذي قام على أنقاض حلف تنوخ في القرن السادس الميلادي، وكانت قبيلة عنزة من أهم أطراف ذلك الحلف.

ومنذ تشكل حلف "لهازم" في القرن الخامس الميلادي وحتى ظهور حلف "العتوب" في القرن السابع عشر الميلادي؛ ارتبطت الهوية السياسية للبحرين بقبيلة عنزة ارتباطاً وثيقاً، وشكلت عشائرها جزءاً أساسياً من التركيبة السكانية ومؤسسات الإدارة والحكم في إقليم البحرين وأرخبيل جزرها على حد سواء.

وأكد ياقوت الحموي في معجم البلدان بأن قبيلة عنزة قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً في مرحلتي الجاهلية وفجر الإسلام مع أبناء عمومتها من قبيلة بكر بن وائل في البحرين، حيث كانوا يتجاورون في السكن، ومواطنهم جميعاً في شرقي شبه الجزيرة العربية.[164]

كما تعرض أبو الفرج الأصفهاني للحديث عن ارتباط عنزة مع بكر بن وائل بالبحرين إبان العهد الجاهلي في كتابه الأغاني بقوله: "بطون بكر بن وائل على جذمين: جذم يقال له الذهلان، وجذم يقال له اللهازم، فالذهلان هم بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل، وبنو ضبيعة بن ربيعة، واللهازم: قيس بن ثعلبة وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة".[165]

---

[163] محمد العزب موسى (1989) **صفحات من تاريخ البحرين**، البحرين. 1/162-163.

[164] ياقوت الحموي (ت 626هـ) **معجم البلدان**، تحقيق محمد أمين الخانجي، القاهرة، 1906. 2/811.

[165] نقلاً عن: مشعل العنزي (2008) **موسوعة قبائل عنزة الوائلية في الجزيرة العربية**، الدار العربية للموسوعات. ص 22.

وتشير المصادر إلى أن عنزة في الجاهلية كانت تشترك مع قبائل أخرى من ربيعة في عبادة صنم يدعى: "المحرق".[166] كما ظهرت عبادة صنم "جد" الذي ارتبطت مسميات بعض قرى البحرين به آنذاك.[167]

وقد مرت قبيلة عنزة في تاريخها بثلاث هجرات رئيسة، إذ كانت هجرتهم الأولى إلى البحرين في حدود القرن الرابع الميلادي، وفي هذه الفترة كان مجتمع البحرين يتكون من قبائل عربية قامت على أنقاض حلف تنوخ ومن أبرزها: عبد القيس، وبكر بن وائل، بالإضافة إلى عشائر من بني تميم.[168]

وفي مطلع التاريخ الإسلامي شاركت قبيلة عنزة في حركة الفتوحات، فتحدثت المصادر عن انضمامها إلى جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة الجمل، تحت قيادة مسلم بن عبد الله العجلي الذي قتل في تلك المعركة.

وإلى مسلم هذا تنتسب بطون شهيرة من عنزة مثل الرولة وبني وهب، وقد عد أوبنهايم ذلك علامة لتحلل حلف لهازم، وظهور قبيلة عنزة بصورة مستقلة على مسرح الأحداث في شبه الجزيرة العربية.[169]

وقد بقيت بطون من عنزة في البحرين حتى مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حيث ارتحل الكثير منهم في عهد الدولة العيونية إلى الحجاز، فتحاربوا مع الهاشميين الموجودين في خيبر، وانتشروا بعد ذلك في أطراف نجد منذ عام 850هـ/1446م، وعرفوا في تلك الفترة بأولاد بني وائل، وهذه هي الهجرة الرئيسة الثانية لعشائر عنزة.

وفي هذه الفترة انقسمت قبيلة عنزة إلى قسمين رئيسين:

أ- ضنا مسلم بن عبد الله العجلي: ومنهم الجلاس وبني وهب. ومن الجلاس يتفرع الرولة الذين شكلوا مع الفدعان أكبر القبائل الرحل في بادية الشام.

ب- ضنا بشر بن قيس التغلبي (وهو من كبار التابعين وفضلائهم): وتفرع من ضنا بشر بطون عديدة مثل: عبيد والعمارات الذين تميزوا بكونهم أكثر تحضراً ومدنية من

---

[166] م.أ. أوبنهايم، أ. برونيلش، و.ن. كاسل (2004) **البدو**، تحقيق وتقديم ماجد شبر، الوراق، لندن، 1/122.

[167] عبد الله الخليفة وعبد الملك الحمر (1982) **البحرين عبر التاريخ**، مرجع سابق. ص98-99.

[168] خير الدين الزركلي (1979) **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت. 2/88.

[169] أوبنهايم (2004) **البدو**، مرجع سابق. 1/122.

الرولة والفدعان. وتفرع من العمارات بطون شهيرة على رأسها السلقا والدهامشة والجبيل، ومركزهم تاريخياً في شرقي شبه الجزيرة العربية.[170]

وقد ظهر دور قبيلة عنزة على مسرح الأحداث السياسية في البحرين على إثر تزعم بطون منها لتحالف العتوب الذي هيمن على الحركة التجارية ونجح في تشكيل كيانات سياسية عدة في شرقي شبه الجزيرة العربية، وهذا ما سيتم توضيحه فيما بعد.

[170] المرجع السابق، 1/119.